وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى / كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

صورة المثقف
في روايات فؤاد التكرلي

رسالة تقدمت بها الطالبة
آلاء قحطان عبد الرحمن العنبكَي
إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة ديالى ، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

بإشراف :
أ.م.د. علي متعب جاسم

1435هـ 2014م

أ ب ب ب

الباب الأول
الاتجاهات والمهيمنات الفكرية

- مدخل :

تتخذ روايات التكرلي اتجاهاً فكرياً نابعاً من ثقافة متنوعة ، اتسمت بها شخصياته الروائية ، ولفهم هذه الشخصيات لابدَّ من معرفة هذه الاتجاهات التي هيمنت على فكره .

والاتجاه لغةً : ((الجِهَة والوجْهَةُ جميعاً : الموضع الذي تتوجه إليه وتقصده))[١] أي المكان الذي يقصده الفرد ، ونجده في الاصطلاح هو المكان الذي يتوجه إليه الفرد ويروم في الوصول إليه ، أمّا ((فكر : الفَكر والفِكر إعمال الخاطر في الشيء ، وقد حكى (إبن دريد)[*] في جمعه أفكاراً والفكرة كالفكر وقد فكر في الشيء وأفكر فيه وتفكر بمعنى ورجل فكير، وفيكر كثير الفكر))[٢] ، شديد الفطنة ، أما في الاصطلاح فهو الفطنة والذكاء اللتان تميزان صاحبهما عن غيره من خلال التأمل في الأُمور .

احتضنت الستينييات اتجاهات فكرية عديدة إذ استقطبت اتجاهات فكرية غربية فأخذ الأُدباء يتجهون إلى هذه التيارات الذاتية ؛ بسبب ارتباط هذه التيارات الفكرية بطبيعة الحال بالاتجاهات السياسية أو الفلسفية .

وإذا كانت الواقعية قد رسخت أقدامها في آبان الأربعينيات والخمسينيات متجهة بذلك إلى رسم صورة قاتمة لمجتمع يعيش تحت وطأة التخلف والجهل ، من دون أن يكون لهذا الاتجاه نوع من الثورة على الواقع والاتجاه فيه إلى مسارات جديدة ، فقد جاءت الستينييات لترسم علاقة متطورة بين المجتمع وبين المثقف ؛ بسبب تنوع الثقافات والاتجاهات الفكرية ، وبسبب تصادم هذه الاتجاهات أو النوازع الفكرية أخذ المثقف يتجه نحو مسارات قد تكون بعيدة عن حالة المجتمع وما آل إليه، ولعل أبرز

---

(١) لسان العرب ، مادة (وجه) .

(*) هو ((أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد البصري ، ولد في البصرة (٢٢٣-٣٢١هـ))) ، من ويكبديا الموسوعة الحرة .

(٢) لسان العرب ، مادة (فكر) .

فلسفة ظهرت في تلك الحقبة الوجودية ، والسريالية ، والمد الاشتراكي الواقعي ، والرمزية ، ونرى الفكر الوجودي أكثرها انتشاراً ؛ لأنه لا يمثل قوانين وأنظمة وإنما يدعو إلى حرّية الأفراد في التعبير عن الذات الإنسانية الأصيلة ، وظهر من تأثر بالنظريات النفسية ومنها الفرويدية التي تقوم على تفسير السلوك الإنساني عبّر الغرائز الإنسانية الجنسية ، وإن لكلّ سلوك سبباً نفسياً يتصل بالغرائز ، وفؤاد التكرلي ألمَّ بالأفكار الفلسفية المتعددة (الواقعية – الوجودية – الفرويدية) نظراً لثقافته المتنوعة التي ترسخت في ذهنه وتكونت من هذه الاتجاهات ونزع إلى الوجودية ؛ لأنه يجد أن الإنسان هو من يضع القوانين لهذه الحياة ، وبذلك يمنح حريته ولا يُقَيدَ كما يؤكد الوجودي ((إن قيمة الإنسان تتحقق عندما يرفض القيم)) [١] .

إنَّ التكرلي روائي حرّ يدعو إلى الحرّية والروائي الحرُّ لا يمكن أن يقيد ويتجمد ويتقولب ، فلابُدَّ أن يتمرد ويظهر هذا التمرد من خلال اعماله الأدبية ، كما نراه في رواياته وكتاباته ، فالكتابة ((بالنسبة له لم تكن مجرد (فطرة) أو (موهبة) بل كانت وعياً نقدياً واستبصاراً في الواقع وموقفاً فلسفياً من الإنسان والكتابة)) [٢] ، ونظراً لهذه الثقافة المتنوعة التي ترسخت في ذهن التكرلي والمتكونة من هذه الاتجاهات نزع إلى الابتعاد عن القانون الأخلاقي السائد ، والذي يعدُّ رمزاً للمجتمع المحافظ ، وتتبع قوّته من الموروث الديني ، فأراد أن يُظِهر الجانب الداخلي للإنسان ورغباته المكبوتة بصورة واقعية ومتمثلة في مسيرة حياته ، فمثلها بصورة فنية في رواياته ، وارتكز في بعض رواياته على النظرية الفرويدية ، وذلك لثقافته العميقة ورسم أفعال شخصياته وفقاً لهذه النظرية ، أراد أن يكشف عن أشياء في السلوك الإنساني ويناقشها من خلالها ، وقد اتخذت شخصياته موقفاً أخلاقياً مخالفاً للموقف السائد في المجتمع ؛ لأنها ترى أنَّ

---

(١) الوجودية ، جون ماكوري ، ترجمة : د. إمام عبد الفتاح ، المجلس الوطني للثقافة والفن والآداب ، الكويت ، ط١ ، ٢٠٠٥م : ٣٠٢ .

(٢) إشكالية العلاقة بين الثقافي والسياسي المثقف العراقي شاهداً ، فاضل ثامر ، دار آراس للطباعة والنشر ، أربيل ، ط١ ، ٢٠١١م : ١٧٢ .

الإنسان غير مجبر على مسايرة المجتمع ليلقى القبول منه ، بل ينطلق من جوانبه الداخلية في إظهار ما يرغب به نابعاً من فلسفة حياتية خاصّة به ، قدّم التكرلي أفكاره عن طريق شخصياته وبطرائق مختلفة، وشخصيات التكرلي نابعة من وعيه المتقدم المتسم بإلمامه الشامل بالمؤثرات الفكرية، والفلسفية ، والنقدية ، والحياتية[١] ، ((ولعله أول روائي عراقي ، في الرواية العراقية قدم شخصياته تقديماً إخبارياً فنياً)) [٢] ، أي أن الروائي يكون الشخص الذي يقدم شخصياته في الرواية بالإخبار عنها .

وستقوم الباحثة بتحليل (روايات التكرلي) للكشف عن هذه الاتجاهات الفكرية، وبدايةً نحلل سينوغرافيا الغلاف ودلالة العنونة ؛ لأننا نجد من المهم أن ندخل في روايات التكرلي من عتباتها النصية ونقف في الفصول كلّها على مفهوم العتبة النصّية كما يقدمه جيرار جنيت ، إذ إننا ولأسباب منهجية تتعلق بطبيعة الدراسة لا نفكك العتبة النصية لسانياً ، وإنما نحاول قراءتها وفقاً لما تحمله الرواية من أبعاد فكرية وسايسلوجية عامة ، وما تطرقه من رؤى وأفكار ؛ ولذا سنقف على ما يسميه (جنيت) بالمناص النثري إذ يشمل بما يشمله ((الغلاف ، وصفحة العنوان، والجلاد ، وكلمة الناشر وغيرها))[٣] ، وهي أيضاً المتعاليات النصية ، وما يعني الباحثة تحديداً هو الغلاف والعنوان ؛ لذا قمت بتحليل عنوان الرواية وغلافها .

الفصل الأول

الواقعية ومؤثراتها في المثقف

- مدخل :

---

(١) ينظر : إشكالية العلاقة بين الثقافي والسياسي المثقف العراقي شاهداً : ١٧٤ .

(٢) تقنيات تقديم الشخصية في الرواية العراقية (دراسة فنية) ، أثير عادل شواي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٩م : ٧٤ .

(٣) عتبات جرار جنت من النص إلى المناص، عبد الخالق بالعابد ، تقديم : سعيد يقطين ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، منشورات اقراف الجزائر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٨ : ٥٤ ، ٥٨ .

تميّزت الرواية العربية والعراقية على وجه الخصوص ، باتجاهاتها الواقعية؛ إذ اتخذها الكُتّاب مذهباً لهم في رواياتهم وقصصهم ، شهدتها حقبة الخمسينييات حتى أوائل الستينييات من القرن الماضي ، وكانَ ذلكَ لأسبابٍ تاريخيةٍ واجتماعيةٍ معروفةٍ، إذ أصبحَ الأدب الروائي في هذه الحقبة يعالج الأمور الواقعية وهي مرتبطة بالمضامين التي تناولتها الواقعية الساذجة ؛ وذلك لظروف العراق الخاصّة ، وهذا الأدب يتوجه نحو الحياة ليصورها وهو كثير الصلة بالواقع السياسي ، كما أنه كثير التعبير عن الاتجاهات الفكرية التي اتجهت اتجاهاً يسارياً متطرفاً ، ولكنه في هذه الحقبة تميّز عن الواقعية الساذجة بتوفر العناصر الفنية فيه[١] .

وتحيل لفظة الواقعية على ((ذلك المذهب الذي يقرره وجود العالم الخارجي مستقلاً عن الفكر وتمثل في فلسفة أرسطو وجميع الفلسفات التي تأثرت بها ، غير ان الواقعية قد يراد بها معنى معاكسٌ لهذا المعنى ، كما هي الحال في نظرية أفلاطون ان العالم الخارجي ما هو إلا انعكاس للصورة الذهنية وللمثل الأعلى وأنَّ هذه الصورة أكثر واقعية منه))[٢] ، أي ان للواقعية معنيين : الأول يقوم على أنَّ الواقع هو ذلك العالم والظروف المحيّطة بالفرد مستقلة عن موقِفِهِ وتأثيره فيها ، أما الرأي الثاني : فيقوم على أنَّ الواقعية هي مرآة لذهن الإنسان والقيم العليا ، وهناك تعريفات أخرى للواقعية فهي تعني : ((التعبير الصريح الكامل عن الصفات الفردية، لكن العرف والتقاليد وأي

---

(١) ينظر : الأدب القصصي في العراق منذ الحرب العالمية الثانية ، د. عبد الإله أحمد ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، (د.ط) ، ٢٠٠١م : ٢/٥٣-٥٤ .

(٢) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبه ، كامل المهندس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٤م : ٤٢٨ .

نوع من المدارس هي بالضبط ما تهاجمه الواقعية))[١] ، بهذا فإن الواقعية تكون وصفاً لسلوك الفرد وتحليلاً لهُ وهي تثور على العادات والتقاليد الاجتماعية السائدة في المجتمع وتعمل على حرية الفرد في التعبير عن توجهاته .

إنَّ الواقعية لا تقوم على الأمور المادية فقط ، ولكن تقوم على الجانب الروحي أيضاً ، المتمثل بقوى الإنسان ، وغرائزه ، ومشاعره ، وطموحاته ، ورُقيه؛ لذا على الفنان أنْ يأخذ بكل هذه الأمور في أثناء توظيف شخصياته في أعماله الأدبية .

تمَّ تقسيم الواقعية على خمسة اتجاهات هي : ((واقعية تقدمية حيث اهتمامها بالمجتمعات البشرية الفقيرة والمسحوقة ، وواقعية ديكنز[*] وبلزاك[**] وتعتمد التطرف في وصف المحيّط الاجتماعي ، والواقعية الطبيعية التي حاولت معالجة المجتمع بالاصطلاحات العلمية ، والواقعية الاشتراكية وتعني ما يجب ان تكون عليه الحياة في الواقع ، وواقعية تشاؤمية ما عبر بها فلوبير[***] عن بشاعة الحقيقة الاجتماعية))[٢] . ومع تعدد اتجاهاتها فإن هدفها واحد وتسير على خط واحد هو الواقع الاجتماعي ، وما يعانيه البشر في هذا الواقع .

---

(١) موسوعة المصطلح النقدي ، الواقعية ، ديمن كرانت ، ترجمة : د. عبد الواحد لؤلؤة ، دار الرشيد للنشر ، العراق ، (د.ت) : ٣٥ .

(*) تشارلز جون هوفام ديكنز (١٨١٢-١٨٧٠) هو ((روائي انجليزي ، يُعد من أعظم الروائيين الانكليز)) . من ويكيبديا الموسوعة الحرة .

(**) آوخوريه دي بلزاك (١٧٩٩-١٨٥٠) ((روائي فرنسي مؤسس الواقعية في الأدب الأوربي، كان بمثابة بانوراما المجتمع الفرنسي)) . من ويكيبديا الموسوعة الحرة .

(***) جوستاف فلوبير (١٨٢١-١٨٨٠) ((روائي فرنسي عكف على التأليف الأدبي)) . من ويكيبديا الموسوعة الحرة .

(٢) الأدب : تعريفه – أنواعه مذاهبه ، د. انطونيوس بطرس ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس – لبنان ، ط١ ، ٢٠١١م : ٣٢٩ . ،

ويرى رينيه ويلك ان الواقعية هي ((تصوير الطبيعة وكذلك التمثيل الموضوعي للواقع الاجتماعي)) [١] ، أي انها تقوم على تصوير الأمور الموجودة في الطبيعة والحياة الاجتماعية التي يحياها الأفراد بصورة أمينة كم قبل الأدباء ، وقد اتخذوا شخصياتهم من الواقع وحاولوا من خلالها معالجة الواقع الاجتماعي ، ومحاولة عرض مشكلات المجتمع وخصوصاً الطبقات المعدمة ، ومن خلال هذه الأمور تبرز النظرة التشاؤمية للواقعية ، وقد حاول الواقعيون من الأدباء تصوير الواقع عن طريق رواياتهم ومسرحياتهم ، واستعملوا الطبقة المعدمة الفقيرة التي تعاني من الحرمان والبؤس ، وحاولوا إيصال صوتهم إلى المجتمع للتعرف على هذه الطبقة ومأساتها من أجل إيجاد الحلول لمشاكلها ، وبينوا الخطر الشديد من عدم إصلاح هذا الواقع وما سيؤول إليه ، وكذلك مَثلوا الشرَّ في رواياتهم ليتجنب الناس أنَّ يقعوا فيه ، وماهية نهايته السيئة[٢] .

إنَّ هذه الأعمال الأدبية تعبر عن كاتبها فكل نصٍّ أدبي يحمل ثقافة كاتبه فيتصل بما هو موجود في الواقع ويحاول إصلاح المجتمع كما يقول علي حاكم : ((ليس النصُّ الأدبي التخييلي ، إلا نصَّاً ثقافياً ، وجزءًا من عالم الثقافة الواقع ، الذي هو تعبير عن واقع اجتماعي ، أنَّ حصر الأدب بسمة التخيل المنفصل عن الواقع ، يخرجه من الثقافة والقول الدال))[٣] ، أي أنَّ كلَّ نصٍّ بما يحتويه من خيال فإنه يرتبط بالواقع وأنَّ الروائي يصوغها بأسلوب بارع ليؤثر في قرائه .

---

(١) مفاهيم نقدية، رينيه ويلك، ترجمة: محمد عصفور، الكويت، د.ط ، ١٩٨٧م : ١٨٢-١٨٣.

(٢) ينظر : الأدب : تعريفه – أنواعه – مذاهبه : ٣٢٨ .

(٣) المجتمع اللا اجتماعي دراسة في أدب فؤاد التكرلي : ٣٩ .

إنَّ ((الأديب يرتبط بالواقع الذي يعيشه بعلاقة إيجابية خلاقة يتبادل فيها طرفا العلاقة التأثر والتأثير)) [١] ، فالأديب يتأثر بالمجتمع من خلال ما يشهده ويصوره في رواياته ، والمجتمع كذلك يتأثر بما يُريد أنّ يوصله الأديب للقارئ .

إنَّ الواقعية تقوم على فكر الكاتب وما يدور في ذهنه فيصور المجتمع الواقعي ويغلفه بأفكاره وذوقه فهو كما يقول دستوفسكي[*] : ((يطلقون عليَّ خطأ الكاتب السايكلوجي بينما أنا في حقيقة الأمر واقعي بأسمى ما تعنيه الكلمة ، إذ إنني أصور أغوار النفس البشرية العميقة))[٢] ، أي أنّ الأديب الواقعي ينفذ إلى أعماق النفس البشرية ويصورها بدقة ويعتمد ذلك على مدى اتصاله بتجارب المجتمع .

إنَّ أية مادة أدبية مقدمة في العمل الروائي لا يمكن تقديمها بصورة موضوعية ، وإنما تقدم من خلال وجهة نظر الأديب الذي يقوم بكتابتها ، ومن خلال نفسيته وبحسب إدراكه لها ، وبحسب أسلوبه في التعبير عنها[٣] ؛ لذلك فإن العلاقة متبادلة بين الأدب والمجتمع ، إنَّ أغلبَ الشخصيات لدى الأدباء الواقعيين مستلبة إما من السلطة أو من المجتمع ، كما أنَّ أغلب الشخصيات المثقفة تكون مستلبة ؛ وذلك لأن أفكارها وآراءها وثقافتها لا يتقبلها المجتمع فتستلب إرادتها ، وقد مُثِلَ هذا في أغلب الأعمال الأدبية وبصور مختلفة ، فضلاً عن أنّ نجاح الشخصيات ونموذجيتها يكون على مدى ارتباطها بالموضوعية أي مدى تعبيرها عن أهداف المجتمع وآماله، فهي

---

(١) الواقعية في الرواية العربية الحديث في بلاد الشام (سوريا – لبنان – فلسطين – الأردن) من ١٩٣٩ – ١٩٦٧ ، إبراهيم حسين عبد الهادي الفيومي ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، د.ط ، ١٩٨٣ : ٣٩ .

(*) ((فيودر ميخايلوفتيش دستوفسكي (١٨٢١–١٨٨١) واحد من أكبر الكتاب الروس والعالميين، ويذكر انه مؤسس الوجودية)) ، من ويكيبديا الموسوعة الحرة .

(٢) منهج الواقعية في الإبداع الأدبي ، د. صلاح فضل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (د.ط)، ١٩٧٨م : ١٩ .

(٣) ينظر : بناء الرواية ، د. سيزا قاسم ، مكتبة آفاق ، بغداد ، د.ط ، ٢٠٠٤م : ١٨١ .

عندما تمثل هذه الأهداف تمثل القيم العليا التي تسعى إلى تطور المجتمع فهي تصور شخصيات حقيقية[١] .

إنَّ الشخصيات تختلف بحسب انتمائها إلى المجتمع فالشخص المعزول عن الناس تختلف رؤيته للناس عن الشخص الذي يمارس حياته الاجتماعية بصورة طبيعية ، وأنَّ الفنان يستطيع تمثيل الواقع من خلال انتمائه له وهو يجسد ذلك بعمله الفني ويُمكنه الإصلاح من خلال أعماله الأدبية[٢] .

إنَّ كلَّ نصٍّ أدبي مفتوح على التفسير والتأويل والواقعية صورة من صور المجتمع ، وهي تتضمن وصفاً للمجتمع بكلِّ ما فيه من أوضاع للبشر وما تحويه من مأساوية ، وفقر ، وبؤس وتحاول إصلاحها ؛ لذا فإن الباحثة تؤول النص وتفسره بحسب فهمها للواقعية ، وبحسب وجهة نظرها والظروف التي تحيط بها ، إذ قلما تتطابق وجهات النظر فكلُّ شخص يؤول النصَّ بصورة تختلف عن الآخر ممّا يعطي النصُّ أكثر من تأويل .

إنَّ الروائي فؤاد التكرلي عُرِفَ باتجاهه الواقعي والوجودي، فنجد رواياته تحمل كل معاني الواقعية وإنَّ كانت بصورٍ متفاوتة ، ففي رواية تجد الاتجاه الواقعي طاغياً عليها بصورة نيرة وواضحة ، وفي أخرى نجد الملامح الوجودية هي الطاغية بصورة أكبر ، فضلاً عن الاتجاهات النفسية البارزة في بعض رواياته ، غير أنَ رواياتهِ بكلِّ الأحوال مرتبطة أشدَّ الارتباط بالمجتمع العراقي، وفي كلِّ حقبةٍ من حقبهِ التاريخية ، كما أنها تبين طبيعة الواقع الاجتماعي ، فضلاً عن أنّ شخصياته أغلبها مستنبطة من الواقع ، وقد أضفى عليها شيئاً من خياله ، إذ جعلها تمثل الغرض الذي كُتِبَت من

---

(١) ينظر : منهج الواقعية في الإبداع الأدبي : ٨١ ، ١٥٧ .

(٢) ينظر : الواقعية في الفن ، تأليف : سدني فلنكشين ، ترجمة : مجاهد عبد المنعم مجاهد ، مراجعة : د. يحيى هويدي ، الهيئة المصرية العامة للتأليف ، د.ط ، ١٩٧٣م : ٣٢ .

أجله الرواية وبأسلوب مؤثر وذكي ، فتؤثر في نفوس القراء وتدفعهم إلى الإحساس بالحزن .

ونرى الطابع الواقعي السوداوي سائداً في روايات التكرلي ، وكذلك نلمح ملامح (الواقعية الاشتراكية) بما فيها من ظاهرة الاستلاب ، مما يدلُّ على واقعية رواياته ، فأغلب أحداثها وقعت في العراق ، وعمله بمهنة (القضاء) له أثرٌ بالغٌ في رسم صورة للواقع المأساوي المعيش في العراق .

- سينوغرافيا الغلاف ودلالة العنونة :

الغلاف ثيمة مهمة من ثيمات الرواية ، فهو يحمل بين طياته دلالة على ما تحويه ، ويعمل على شدِّ القارئ ، وسينوغرافيا الغلاف(*) في روايات التكرلي بمثابة لوحة فنية يصور من خلالها واقعية رواياته ، ففي رواية (بصقة في وجه الحياة)(١) يصور الغلاف واقعية الرواية لما يحويه من صورة لنساء يتجمعن في حانة ، ممّا يدلُّ على المشهد الذي يريد تسليط الضوء عليه .

وفي رواية (الوجه الآخر)(٢) نجد الغلاف يدلُّ على الواقعية ، ففيه صورة لامرأة تجلس في المنزل ، فاقدةٍ للحريةِ ، والرجل خارج المنزل حرٌّ بكلِّ تصرفاته ، فهي رهينة للعادات والتقاليد الاجتماعية ، وهي بهذا مستلبة الحرية من المجتمع الذكوري ، وأنَّ

(*) والسينوغرافيا ((فناً مركباً يجمع بين العلامات اللغوية والبصرية والسمعية أو ما يسمى بفن الصور المرئية أو البصرية ، ... والسينوغرافيا ولدت من فن الزخرفة ثمّ تطورت في معارضتها للزخرفة لتصل إلى فن الديكور ، ... وهي مع المذهب الرمزي سينوغرافيا رمزية قائمة على الرمز والإيحاء والتلويح)) . تعريف السينوغرافيا وتطور مفهومها عبر التاريخ ، موسوعة البحوث الشاملة : http:// baht 21. blogspot . com

(١) رواية بصقة في وجه الحياة ، فؤاد التكرلي ، منشورات الجمل ، كولونيا – ألمانيا ، ط١ ، ٢٠٠٠م .

(٢) رواية الوجه الآخر ، فؤاد التكرلي ، دار الآداب ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٩م .

وظيفتها القيام بالأعمال المنزلية ولا تملك الحقَّ في ممارسة حقوقها خارج حدود البيئة المنزلية ، وإنْ خرجت عن حدودها فهي مخلة بالسلوك المقبول اجتماعياً ومرفوضة من قبله ، فالمثقف هنا راضخ للعادات والتقاليد على الرغم مما يحمله من ثقافة .

أمّا رواية (الرجع البعيد)[١] فهي صورة لأُسرة عراقية عاشت حقبة تاريخية في المجتمع العراقي ، كانت زاخرة بالثورات والانقلابات السياسية ، كما أنها تُشير إلى الطبقة البرجوازية الصغيرة حيث الفقر ، والمعاناة ، والحرمان ، وبهذا فإن صورة الغلاف تدلُّ على الواقعية ، وما يعانيه المثقف من سوء الحالة المعيشية .

وفي رواية (خاتم الرمل)[٢] يدلُّ الغلاف على الواقعية من خلال صورة المرأة التي تبكي وتحمل منديلاً ، وهذا دليل الحزن والألم ، وتقابله صورة رجل مقلوبة ربما تدلُّ على أنَّ هذا الرجل هو المثقف هاشم وقد قلبت حياته وأصبحت مأساة بعد وفاة والدته .

أمّا رواية (المسرات والأوجاع)[٣] فيدلُّ الغلاف على الواقعية أيضاً ، فنرى صورة لمجموعة من النساء يرتدين العباءة السوداء ، وهي الزي العراقي السائد للطبقة البرجوازية الصغيرة ، فنرى امرأتين تسيران معاً وامرأة تقف وتجلس بجانبها امرأة في الطريق ، فهذا يدل على أنَّ بعض الناس حياتهم ميسورة والبعض الآخر تمتلئ حياتهم بالصعوبات والهموم ، كما يحمل الغلاف دلالة على التكافل الاجتماعي ، فالمرأة الواقفة هي رمز للإنسان المتعاون ، أمّا المرأة الجالسة فهي رمز للإنسان الذي يحتاج مدّ يد العون إليه ، وعلى أساس هذا فإن توفيق يُمثل المرأة الجالسة وغسان يمثل المرأة الواقفة .

---

(١) رواية الرجع البعيد ، فؤاد التكرلي ، دار الآداب ، ط١ ، ١٩٩٣م .

(٢) رواية خاتم الرحمل ، فؤاد التكرلي ، دار الآداب ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٥م .

(٣) رواية المسرات والأوجاع ، فؤاد التكرلي ، دار المدى ، ط١ ، ١٩٩٨م .

أمّا رواية (اللا سؤال واللا جواب)[١] فالغلاف يدلُّ على الواقعية من خلال ما رَسمَّ عليه ، فؤاد التكرلي وصور الغلاف بـ((يقتحم الروائي الكبير فؤاد التكرلي المشهد العراقي بجرأة ويرسم لوحة روائية مبهرة عن تحولات عائلة عراقية صغيرة منذ الثمانينات الماضية إلى منتصف التسعينات ، هي تحولات العراق كلّه لا أحد يطرح الأسئلة عما يحدث ولا أحد يجيب))[٢] ، هنا تشير إلى واقعية الكتابة عن الوضع الراهن ، وتبين حالة أسرة وما أصبح بها من تحولات في وضعها الاقتصادي والنفسي ، فترتبط بتحولات العراق السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

- دلالة العنونة :

العنوان هو العتبة الأولى للنصِّ ، فهو يحملُ بين طياتهِ دلالة تحيل على المتن، فيشدُّ انتباه القارئ ، ((بوصفه الموجه الأول [له] إذا افترضنا أن هناك أكثر من موجه))[٣] ، ويعدَّ كذلك مدخلاً تنويرياً بات الاهتمام به واضحاً من لدن المبدع والناقد على حد سواء ((مما ولّد عند القارئ نزوعاً لاكتشاف البنية والدلالة فيه ، بوصفه من المولدات الشعرية التي لا تقل أهمية وأثراً عن النص نفسه)) [٤] ، وإذا كان العنوان فاعلية لها شروطها وملابساتها المستقلّة عن كتابة العمل نفسه ، فإنه من جهة أُخرى ((نتاج تفاعل علاماتي بين المرسل والعمل ، أما المستقبل فأنه يدخل إلى العمل أيضاً من بوابة في استنطاق دوالّهِ)) [٥] ، وبناءً على هذا ستكون قراءتنا لبنية العنونة في روايات التكرلي ، متجاوزين تراتيبها إلى تأويل دلالاتها ، من خلال علاقتها بالمتن ،

---

(١) رواية اللا سؤال واللا جواب ، فؤاد التكرلي ، دار المدى ، ط١ ، ٢٠٠٧م .

(٢) غلاف رواية (اللا سؤال واللا جواب) .

(٣) علاقات الحضور والغياب في شعرية النص الأدبي (مقاربات نقدية) ، د. سمير كاظم الخليل، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٨م : ٦٦ .

(٤) تنوير النص – ملاحظات في بنية العنونة والإهداء في شعر خالد السعدي ، د. علي متعب جاسم ، الشبكة العنكبوتية للاتصالات : www . alhewur. org

(٥) العنوان وسيموطين الاتصال الأدبي ، د. محمد فكري الجزار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د.ط ، ١٩٩٨م : ١٩ .

والتكرلي من الروائيين الذين أتقنوا اختيار عنوانات رواياتهم ليس للدلالة على متن الرواية فحسب ، وإنما من أجل إضافة شيء يسمح للقارئ أو الناقد أنّ يحلل الرواية بعنوانها[١] ، وعلى أساس هذا فإن عنوانات روايات التكرلي تدلُّ بمجملها على أحداث الرواية ، ففي رواية (بصقة في وجه الحياة) يدلُّ العنوان على أنَّ الحياة لا تلبي حاجة الفرد ، بل تسلبه كلَّ ما يريده ؛ لأنه في تلك الحقبة كان الوضع الاجتماعي العربي يعاني من الفقر ، والعوز ، والتشتت (١٩٤٧) ، فقرار تقسيم فلسطين ، والظروف السياسية المتدهورة في العراق أثَّرت على الشعب، ممّا أدى إلى انتشار الفساد ، والفقر ، والعوز ، لاسيّما ما وصفه من وضع أُسرته التي عانت ما عانت من الفقر ، والعوز ، وما أحاطه من حرمان ؛ لذا ثار على الأوضاع السائدة في الحياة وكتب روايته بهذا العنوان ؛ لأن الحياة لا تلبي حاجته وما ناله منها هو الحرمان ، والعوز ، والكبت فقط ، فهو يبصق على هذه الحياة الواقعية التي يعيشها العالم ، يقول : ((لقد كانت لي عملاً من أعمال إعادة التوازن الشخصي وترميم ما تخرب من ذاتي بسبب ظروف أحاطتني))[٢] ، فعنوان روايته يمثل ثورة على هذه الحياة .

أمّا رواية (الوجه الآخر) فيدلُّ العنوان على دلالات عدِّة ، ومنها الواقعية ، فالإنسان يعامل الناس ويتعامل معهم بما تقتضيه ظروف المجتمع ، ويحاول أن يكون مقبولاً من الآخرين ، ولكن الإنسان يتمرد ويتحول في تصرفاته ، وتظهر أفكار فلسفته الداخلية إذا ما ضغطت عليه عوامل خارجية جعلته يظهر وجهه الآخر للناس ، وهذا الوجه يجعله أكثر ارتياحاً واستقراراً حتى وإنْ خالف القيم والأعراف الاجتماعية ، وعن هذا الأمر يقول الدكتور علي جواد الطاهر : ((إنَّما اسماها الوجه الآخر لأن هذه الشخصية لا تتكص في الحقيقة كما نتصور ، إنما هي فلسفة أبعد من ذلك أنَّ الشخص منها مصمم على شيء ومشغول بافكار معينة حتى إذا وقعت

---

(١) ينظر : عالم النص (دراسة بنيوية في الأدب القصصي) فؤاد التكرلي إنموذجاً ، د. سليمان كاصد ، دار الكندي ، الأردن ، د.ط ، د.ت : ١٧ .

(٢) بصقة في وجه الحياة : ١٠ .

الحوادث تبين له وجه آخر من أمره ومن أفكاره كان خافياً عنه وهذا الوجه الآخر يريد عجزه))[١] ، فالوجه الآخر هو صورة للذات الإنسانية المدفونة لكلٍّ مِنَّا .

وفي رواية (الرجع البعيد) يدلُّ العنوان على الواقعية ، وهو ربما يعني هنا الرجع البعيد أي الرجوع إلى الواقع ومواجهة كلّ الصعاب التي تؤدي إلى انزواء الإنسان وانعزاله في عالم الخيال ، أي الرجوع بعد حقبة طويلة من البعد والانتظار واتخاذ القرار الصحيح الذي يرتبط بمدحت في الرجوع في تفكيره بظلمه لمنيرة وما هي إلا ضحية سفاح المحارم ، والعودة إليها ، ومواجهة المجتمع وتقاليده .

نرى العنوان يوحي بمعانٍ عدّة ، كما أورده بعض الباحثين ، ولا يمكن الجزم بأنه يرتبط بشخصية أُخرى ، إذ يمكن له أن يعبر عن دلالات مختلفة بحسب ربطه بالشخصيات المختلفة في الرواية ، فهو مع شخصية عبد الكريم يعبر عن ذكرياته الخاصّة بصديقه فؤاد وموته مدهوساً بسيارة ، أمّا مع منيرة فيعبر عن استرجاعها لذكرياتها في بعقوبة وحادثة الاغتصاب التي تعرضت لها ، دفع مدحت يعبر عن استرجاعه لاحداث ليلة زفافه على منيرة والأحداث التي سبقتها ، فضلاً عن استدعائه للأصوات الأُخرى ومحاورتها ، وهكذا مع بقية شخصيات الرواية بما فيها الشخصيات الثانوية الشيخ التركي ، الاعرابي ، الرجل المسيحي من الموصل الّذين يستذكرون قصصهم الخاصة المرتبطة بماضيهم[٢].

أمّا رواية (خاتم الرمل) فنجد أنَّ العنوان يوحي بدلالات عدّة ، من الممكن تفسيرها في الاتجاه الواقعي ، أنَّ الخاتم هو ما يدل على الارتباط ، وتكوين الأسرة في المجتمع ، ولكن هذا الخاتم من رمل أي من الزوال وعدم البقاء ؛ لأن الأسرة مبنية

---

(١) في القصص العراقي المعاصر ، د. علي جواد الطاهر ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، د.ط ، ١٩٦٧م : ٢٩ .

(٢) ينظر : صورة اللغة في روايات فؤاد التكرلي ، وسام عباس جعيجع ، رسالة ماجستير ، إشراف : د. خالد علي مصطفى ، كلية الآداب – الجامعة المستنصرية ، ٢٠١٢م : ١٣٢ .

على أُسس واهية بحسب نظرة الروائي ، وتقوم على التسلط وليس على المحبة، وذلك يتضح من نصِّ الرواية ، فالنصّ يشير إلى أنَّ ضجة الحفل أدت إلى عرقلة ادخال الخواتم في أصبعيهما فيقول هاشم : ((فلم يستطيع أي منا وضع أحد خاتمي الخطوبة في إصبع الآخر فانبرت هي لها ، وبرزت من تحت الأرض وهتفت بابنة عمها أن تدفع إصبعها بقوة لادخال الخاتم !)) [١] ، ومن هذا يتضح أنَّ هذه العلاقة الزوجية تقوم على الصعاب ؛ وذلك نتيجة للمؤثرات التي يفرضها المجتمع عليهما ؛ لأن ادخال الخاتم في الأصبع دليل الارتباط ، وصعوبة إدخاله دليل على صعوبة إقامة هذه العلاقة .

أمّا رواية (المسرات والأوجاع) فنجد في العنوان ما يدلُّ على حياة الإنسان في الواقع وما تحمله له الأيام من أفراح وأحزان ، أي أنَّ حياته عبارة عن مسرات وهي قليلة ، وعلى الآم وأوجاع وهي كثيرة للشخصية الرئيسة في الرواية الذي يمثل الطبقة البرجوازية المعدومة ، ونرى أنَّ الروائي ربما ضمن العنوان من المثل القائل (الحياة حلوة ومرة) ولكن مرارتها أكثر من حلاوتها .

وفي رواية (اللا سؤال واللا جواب) يتخذ العنوان بعداً واقعياً ؛ وذلك لأن الرواية تتحدث عن زمن الحصار الاقتصادي الذي دامَ حوالي أكثر من عشرة أعوام بقرار من (امريكا) وعانى خلالها الفرد العراقي حصاراً في المجالات كافة ، كما عانى حصاراً نفسياً من العالم المتسلط الذي سلب الشعب إرادته ، وليس مسموحاً له بالسؤال عن سبب الجوع ، وعدم الحقّ له بالمطالبة بالجواب ، وربما يدلُّ على التحولات التي حدثت في حقبة الحصار من تحولات في الطبقات الاجتماعية ، وفي أحوال الأفراد من ارتفاع بمستوى المعيشة وانخفاض فيها ، ولكن ليس من حقِّ أي شخص أنَّ يسأل أي

---

(١) رواية خاتم الرمل : ٩٣ .

أحد عن سبب تحول حالته وتطورها ، ولا يجد جواباً على سؤاله وهي بهذا مرتبطة بالواقع العراقي ومعاناته .

وفي الخاتمة تجد الباحثة أنَّ الواقعية لها الأثر الكبير في التأثير بالمثقف ، وأنَّ سينوغرافيا الغلاف ودلالة العنونة مرتبطة كُلَّ الارتباطِ بالمثقف والأُمور التي أحاطت به .

- المثقف الواقعي :

تُسهِم الواقعية في الكشف عن شخصية المثقف في روايات فؤاد التكرلي ، ولعل من أبرز مظاهرها هي المصادفة ، والثورة على التقاليد والأعراف ، والبطالة، والتشاؤم ، ومن أكثر المظاهر بروزاً هي المصادفة ، ففي رواية (بصقة في وجه الحياة) نجد الحياة بنظر محيّ تقوم على المصادفة فهو يقول : ((هذه الحياة التي تخيف وترجف القلوب وتحدُّ من أعمالنا وتشذب من رغباتنا ، ما هي إلا صدفة ، ما هي إلا أكذوبة صغيرة لا يمكنها حتى أنّ تضحكنا))[١] ، إنَّ الحياة بنظر محيّ هي التي تحركنا كيف تشاء من دون قدرة لنا على الوقوف ضدها ، فهي تبكينا تارة وتضحكنا تارة أُخرى ، وهذا يشير إلى أنَّ محيّ إنسان مهزوم ثقافياً فهو لا يؤمن بقدرة الإنسان على تحسين ظروفه .

وفي رواية (الوجه الآخر) نجد المصادفة لها الأثر الكبير في الكشف عن الوجه الآخر لمحمد جعفر (بطل الرواية) ، حينما التقى الشاب الذي طلب منه المساعدة وهو يكاد يغمى عليه، وعندما سقط الشاب على الأرضِ، نجد محمداً تخلى عنه هارباً وصعد إلى الباص[٢] ، هذا هو الوجه الآخر لمحمد ، الجانب الثاني جانب الشرِّ في

---

(١) بصقة في وجه الحياة : ٣٣ .

(٢) ينظر : الوجه الآخر : ٨ .

الإنسان ((لأن الواقعية [...] أُستنبطت من النظرية الفلسفية التي ترى أنَّ الحياة بُنيت على الشرِّ ، وأنَّ ما يبدو فيها من مظاهر الخير ، ليس إلا طلاءً رائقاً يموه واقع الحياة ويخفي طبيعة الإنسان الحقيقي)) [١] ، بمعنى أنَّ كل إنسان يضمر الشرَّ ، وهذا الشرُّ لا يمكنه الظهور إلا إذا تكالبت الظروف القاسية عليه ، فهو مثقفٌ إنهزامي ؛ لأنه لا يستطيع مواجهة المواقف ومساعدة الآخرين ، بل كلّ ما يفعله هو الهروب من الواقع ، كما أنه لا يطبق كلُّ ما يقرأه ، ولا يحاول التغيير وإنما يقرأ ليزود نفسه بالمعرفة ليس أكثر ، ولعل ذلك يعود لوعيه في مرحلة مبكرة من حياته أنَّ الثقافة لا تغني ولا تشبع من جوع ، فمحمد ((أدرك أنّه لا يكتب إلا لأنّه يكتب ولم يكن يدر بالضبط لماذا يكتب [...] وكانت هذه الفكرة هي مبدأ التلاشي عنده لقيم لم يكن يملك سواها يوماً من الأيام)) [٢] ، إنَّ ما يكتبه محمد لم يبين طبيعة ثقافته مما يدلُّ على أنَّ هذه الشخصية غير منسجمة مع واقعها ولا يطبق ما يقرأ فهو على أساس هذا يمكن عدّه مثقف مهزوم مثقف تقليدي .

أمّا رواية (الرجع البعيد) فقبل البدء بالتحليل لابُدّ من ذكر بعض الشخصيات المثقفة لما احتوته على عدد من المثقفين الذين يشكلون محور الرواية فتشتمل على (مدحت ، عبد الكريم ، حسين ، أبو مدحت ، منيرة ، مديحة) أما الشخصيات العاجزة (عمة مدحت ، أُم حسن ، جدة مدحت) ، وشخصية عدنان الجاهل الذي شكل حدثاً مهماً في الرواية ، فالمصادفة فيها كشفت عن شخصية حسين وما يعانيه من الواقع ، حينما لمحته أم مدحت وهو زوج ابنتها مديحة ، عائداً من الكويت ((عندئذ لمحته

---

(١) تعريف الواقع لغةً واصطلاحاً ، د. عبد الرحمن رأفت الباشا ، نحو مذهب إسلامي ، الأدب والنقد : http : // www . alukan . net

(٢) الوجه الآخر : ١٣ .

يخرج من انحناءة الزقاق القريب ، طويلاً بارز الصدر متعثر الخطوات)) [١] ، إنَّ هذا النصّ يكشف عن شخصيته ، فخطواته المتعثرة تُشير إلى فقدانهِ الاستقرار ، فهو حائر بين ما يحمل من أفكار وبين ما موجود في الواقع ، وهو بهذا مثقف مهزوم حاول الهروب من واقعه ، ولكنه عاد خائر القوى.

وفي رواية (المسرات والأوجاع) تؤدي المصادفة إلى الغرض الذي تطمح إليه الشخصية ، فالروائي الناجح هو الذي يختار المصادفة الملائمة لتنمية الحدث من بين المصادفة الكثيرة في الحياة ، فينتقي مصادفة رؤية توفيق (الشخصية الرئيسة في الرواية) لرواية سانين ليذكرنا بعامل الربط بين الشخصيتين ، فمؤلف رواية (سانين) الروائي الروسيي آرثر بياشيف اعتمد ((فلسفة ماركس ستيرنر القائمة على الفوضوية الفردية ، وهي التي تقاوم النزعة المحافظة داخل المجتمعات، فبطل الرواية هو ذلك الرجل يجسد المرأة الصافية للطبيعة ، إذ تنسجم تصرفاته مع محيّطها متحررة من محيّطها الاجتماعي المحكوم بالتقاليد والأعراف الصارمة))[٢]، فالمصادفة هي التي جعلت توفيق يقرأ رواية سانين ليكتشف شخصيته فيها ، فنظرة توفيق للمرأة تقوم على أساس التحرر من التقاليد الاجتماعية ، وتتصرف بحسب طبيعتها ، فهو بهذا ضدّ التقاليد والأعراف التي تقيد المرأة ، وعلى أساس أفكاره هذه يُعدُّ صورة للمثقف الثوري .

والمصادفة عملت أيضاً على جمع توفيق بغسان بعد حقبة طويلة من الفراق ، وهذه المصادفة يَسرت الأُمور لتوفيق ، وحملت معها السرور ، والأمل ، والراحة له، فما تعرض له توفيق في حياته من صعاب وهموم غيرت من شكله وجعلته عبارة عن مجلدات من الهموم بعد أنّ كان صفحة ناصعة ، فالحياة سلبته والدته ، وماله ،

---

(١) رواية الرجع البعيد : ٦ .

(٢) موقع الانترنت ، رواية سانين ، ميخائيل آرثر بياشيف ، ترجمة : إبراهيم المازني ، مؤسسة هنداوي : hindawi . org

وحرمتهُ نعمة الأطفال ، ولكنها عوضتهُ بهذه المصادفة ((فما دمّتُ متأكداً بأني وغسان عشنا زمننا الذي أُتيح لنا بالصدفة متحدين نفساً وعاطفة ، ورؤى ، فلابُدَّ لي إذن أن أتوصل إلى إدراك ما يفترض أنه تمنى عليَّ أنَّ أعمله له ولها ولي لابُدَّ)) [١] ، إنَّ هذا النص يبين لنا التوافق الفكري ، والنفسي ، والعاطفي ، إنَّ المصادفة هي التي أنقذت توفيق من حالة الفقر والحرمان التي يعيشها ، فغسان ترك لتوفيق حقيبة بخمسين ألف دينار ، وهذا المبلغ من المال عَمِل على تغيير حياته ، والمصادفة لم تكن بالمال فقط ، إذ حينما وَجدَ توفيق ذاته في غسان، قرر أنّ يستثمر هذا المال بما كان سيستثمره غسان فيما لو كان مازال حياً ، كما منحه نعمة الأطفال إذ أخذ يفكر بالزواج من فتحية لرعايتها ورعاية إبنها رداً للجميل الذي صنعه معه ، وهذا ما قصده بقوله (له ولها ولي ولابُدَّ) ، وكلمة لابُدَّ تأكيد لرغبته في الزواج بفتحية ورعاية إبنها ، فالصدفة كان لها أثرٌ إيجابي في تغيير حياته ، وبسبب هذه الصدفة ابتسمت الحياة له من جديد وعوضتهُ عما حرمته منه سابقاً .

والمصادفة في رواية (اللا سؤال واللا جواب) عملت على تغيير حالة عبد الستار (الشخصية الرئيسة في الرواية) من الفقر والعوز إلى الترف والراحة ، كما كشفت عن تحول في شخصيته من إنسان نزيه معتدل إلى إنسان فاقد للقيم والمبادئ.

إن المصادفة تمثلت حينما ضرب عباس كروازة عبد الستار على رأسه بآلة حادة ؛ لأنه طالبهُ بأجرة التاكسي ، وهذه الآلة الحادة كانت عبارة عن كيس أسود يحوي مصوغات ذهبية من الأساور والخواتم المرصعة[٢] ، وعلى أثر ضربه بهذا الكيس فَقَدَ وعيه وحينما أفاقَ وجد هذا الكيس وهو حينها لم يفكر بإعادة الكيس إلى صاحبه الأصلي أو البحث عنه ؛ لأنه يعيش حالة من الفقر والعوز فاختلطت لديه

---

(١) المسرات والأوجاع : ٤٦٤ .

(٢) ينظر : اللا سؤال واللا جواب : ٥٧ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ .

الأُمور فلم يَعد يفرق بين ما يملكه وبين ما لا يملكه ((كنت أُخفي عن نفسي ذلك النزوع الحيواني للاستيلاء على كلِّ شيء يقع تحت يدي لا فرق أنّ كان لي أو كان لغيري [...] كنت أشعر ، أشعر فحسب بذلك النزوع الأعمى للتملك يتراءى لي ، ثم يختفي في أعماق ذاتي)) [١] ، إنَّ المهم لدى عبد الستار هو الحصول على ما يحسن وضعه المادي ، سواء أكان حلالاً أم حراماً ، فنجده يتحول من موقعه النزيه مدرساً يعمل على نشر القيم والمبادئ إلى موقف مخالف ، فينحرف عن هذه القيم التي نشأ عليها ، فالحصار الاقتصادي دمرَ النفوس ، فهو لا يمثل دماراً اقتصادياً للبلاد فحسب ، وإنما هو دمار اجتماعي ، وعلمي ، وثقافي ، وأخلاقي ، وبهذا فإن المصادفة كشفت لنا عن التغيير الحاصل في شخصية عبد الستار ؛ بسبب الوضع المادي السيئ الذي يعيشه ، وهذا ما أكده عبد الكريم خضير عليوي السعدي : ((إنَّ جوهر الرواية الذي أراد التكرلي إيصاله لنا ، فعبد الستار الذي هو من ناحية كان لا يأخذ حقَّه تماماً من صاحب سيارة الأُجرة التي يقودها كلَّ مساء ، وكان لا يُخفي عنه ما كسب خلال ساعات العمل إلا تلك المبالغ التي تعطى له مثل هدية (مبالغ أكبر من الأجور المستحقة) ، نجده من ناحية أخرى يحتفظ بمال ضخم مسروق ، ومن غير أنَّ يسأل نفسه أسئلة ذات طابع أخلاقي بهذا الصدد ، ويظل هذا الصراع النفسي يلازمه ، فهو يشعر بأنه قد خان أخلاقه التي شوهتها سنوات القهر والحرمان؛ لذلك راحت النوبات الهيستيرية التي كان يعتقد أنها نوبات صرع ، تلازمه في أثناء النوم وهي ليست سوى انعكاس لصراع داخلي كان يجري في منطقة لا وعي عبد الستار ، الذي راح يدفع

---

(١) اللا سؤال واللا جواب : ٦٧ .

ثمن ذلك من صحته النفسية)) [١] ، فعبد الستار يعيش حالة من الازدواجية فهو صادق مع صاحب السيارة ، ولا يغشه ، ولا يأخذ أكثر من حقِّهِ ، ولكنه لا يُعيد كيس المصوغات إلى صاحبه أو يحاول البحث عنه .

إنَّ المصادفة في هذه الرواية كشفت لنا عن التحولات في شخصية عبد الستار وغيره من الأشخاص في حقبة الحصار ؛ لذا فإننا يمكن أنَّ نعدّ عبد الستار مثقفاً مستقلاً ، وما يهمه هو ذاته فقط ، والمثقف المستقل ((هو من يعمل بذاته ولذاته))[٢]، بمعنى أنه يعيش لعالمه الخاصّ فقط .

ومن مظاهر الواقعية الأُخرى الثورة على العادات والتقاليد وتجاوزها وعدم الاكتراث بها ، ففي رواية (بصقة في وجه الحياة) نلحظ الثورة على العادات والتقاليد من بنات محيّ ، يقول محيّ عن بناته : ((إني أرى [...] فتاة – بل فتيات – تُرك الحبل لهن على الغارب ؛ فلا أب يسأل ، ولماذا أسأل ... حقاً لماذا ؟ ولا أم توسوسهن ، فصرن يعبنَّ من لذات الحياة عباً ولا يشبعن من ترفها قط)) [٣] ، يُظهر لنا النصّ الشخصية المثقفة ضعيفة الموقف ومهزومة ، فمحيّ متردد بين ما يحمله ضميره من التزام بالعادات والتقاليد ، وبين ما لا يستطيع تطبيقه في الحياة الاجتماعية ، وهو منع ابنته من الخروج مع الشباب ، وتظهر حيرة محيّ وترددها في اتخاذ موقف واضح حينما يترك لنا الروائي علامة حذف ما بين الكلمات في إشارة مهمة إلى ذلك التردد ، على الرغم من أنه يتوفر له الدافع لاتخاذ الموقف الذي يدلُّ على عدم الالتزام

---

(١) الحصار في الرواية العراقية (دراسة موضوعية) مقارنة بين التكرلي وبتول الخضري ، عبد الكريم عليوي خضير السعيدي ، كلية الآداب – جامعة ذي قار ، قسم اللغة العربية . www.dicjax . com .

(٢) المثقف والسلطة : ١٢٢ .

(٣) بصقة في وجه الحياة : ١٦ .

بالعادات والتقاليد ، وذلك من خلال حديث محيّ ((في تمام الساعة العاشرة دقَّ جرس التلفون فركضت إليه وكنت في صالة الدار بمفردي، فسمعت صوت رجل يسأل عنها ، وكان ذلك أمراً اعتيادياً لا يوجب الاستغراب ، إلا أنَّه كان يؤلمني دائماً)) [١] ، إنَّه يتحدث عن ابنته فاطمة التي خرجت عن العادات والتقاليد وأخذت تخرج مع الشباب من دون أنَّ تجد من يحاسبها ، فمحيّ يتألم لما يحدث ، ولكنه لا يستطيع أنَّ يفعل شيئاً ؛ لأنه ضعيف ومهزوم ، وهذا ما زاد معاناتهِ .

إنَّ الشخصية المثقفة المهزومة لا تستطيع أنَّ تُقدّم شيئاً للمجتمع ولذاتها ، فهي مترددة بأفكارها وغير مستقرة ، ولا تستطيع أنّ تواجه المجتمع والأفعال التي لا ترضى عنها ، فنراها تلجأ إلى الكتابة كما حدث مع محيّ فيقول : ((من يدرك ويتصور حالتي وأنا أكتب هذه الكلمات ؟ إنني أضحك ، أضحك بسخرية وهزء ، أضحك بوحشية وفضاعة لا حَدَّ لهما)) [٢] ، إنَّ محيّ لا يستطيع ردع بناته عن هذه الأفعال ، فنجده يلجأ إلى الكتابة ؛ لأن الكتابة تمثل بالنسبة له تفريغاً نفسياً للمكبوت الداخلي ، فهو يستهزئ بالدنيا ، وكلَّ ما يدور حوله ، ويحاول أنّ يتلافاه ويقلل من شأنه .

ويحاول الروائي أنْ يغوص في أعماق المجتمع ؛ لأنه ينتمي إلى الواقعية النقدية ، فنراه يصور تغاضي محيّ عن الأعراف والتقاليد حينما يسأل إبنته صبيحة عن أُختها فاطمة بقوله : ((سألتُ صبيحة متى أقبلت أمس فاطمة ؟ فاضطربت قليلاً وأجابتني : أنَّها كانت نائمة وقتئذ)) [٣] ، إنَّ فاطمة اعتادت الخروج مع الشبان والعودة متأخرة ؛ لأنها لا تجد من يردعها عن هذه التصرفات ، فهي تخرج عن العادات والتقاليد ؛ لأن والدها محيّ لا يمكنه منعها ، فهو مثقف انهزامي يدرك أنَّ ما تقوم به

---

(١) بصقة في وجه الحياة : ٢٠ ، ٢١ .

(٢) المصدر نفسه : ٣٥ .

(٣) بصقة في وجه الحياة : ٤٠ .

أبنته أمرٌ خاطئ ، ولكنه لا يردعها ، أمّا لإدراكهِ أنَّه لا يوفر لها متطلباتها ؛ بسبب وضعه المادي ؛ أو لأنه يخاف مواجهة الواقع .

أمّا رواية (الوجه الآخر) فنلحظ أنَّ محمد جعفر تجاوز القيم الاجتماعية حينما طلق زوجته بعد أن أصيبت بالعمى إثر حمى أُصيبت بها بعد الولادة[١] ، إنّ محمد تخلى عن زوجته في الوقت الذي هي بأمس الحاجة إليه ، فهو مثقف مهزوم ؛ ولعل ذلك يعود إلى شعوره بالإهمال من الدائرة التي يعمل فيها ، ولصعوبة الحياة المادية التي يعيشها ؛ ولأنَّ مجمل ما كان يتمناه أنّ يكون له ولد يحمل أسمه ، وللفرق الثقافي بينه وبين زوجته ، فهو يواجه صراعاً نفسياً حيال الثقافة ؛ وذلك لأن من حوله لا يعرفون معنى الثقافة ، فهم مشغولون بالمادة ، وهذه من المشاكل التي يواجهها المثقف في عدم تقبل المجتمع لأفكاره ، ممّا يسهم في جعله مهزوماً ((ومن يعلم فلعله يعطي القراءة أهمية لا تستحقها ، أنَّ زوجته لا تفتأ تذكره بأنهما لا يجنيان شيئاً من وراء قراءاته [...] بدأ يفكر في فائدة القراءة له أنَّها لا تزيد إلا وساوسه ، وأحلامه ، وشعوره بالفشل))[٢] ، إنَّ الفارق الثقافي بينه وبين زوجته كان من أحد الأسباب التي دفعته إلى تركها .

إنَّ كل العوامل السابقة دفعت محمداً إلى تجاوز القيم والأعراف الاجتماعية ، فترك زوجته حينما أحسَّ أنَّها عبء ثقيل على كاهله ، مع أنَّ القيم الاجتماعية ، والأعراف ، والأخلاق ، لا تسمح لأي إنسان بأن يترك إنساناً آخر وهو بهذه الحالة، فكيف تَسنى له تركها وهي بهذه الحالة .

مما سبق يتبين لنا أننا لم نفهم من الروائي عمق ثقافة محمد ؛ لأنَّ مثل هذا العمق هو الذي يدفع إلى تساؤلات ، وأفكار فلسفية وعلمية صارمة ، جاءت على لسان

---

(١) ينظر : الوجه الآخر : ١٠٥ .

(٢) المصدر نفسه : ٣٣ .

شخصية مثقفة مثل محمد ، ويبدو أنَّ الروائي أضفى على الشخصية الكثير من أفكاره ، وهو ما نسميه بـ(البوح الذاتي) ، فمحمد نفس هائمة ، ضائعة ، مزعزعة، خائرة القوى ، على الرغم مما يمتلكه من ثقافة وفكر ، وعلى الرغم ممّا يتفجر من ثقافة من توق إلى الحياة ، إلا أنَّه لم يتعلم شيئاً من معاني التضحية ، لاسيّما حين ترك زوجته وثار على الأعراف الاجتماعية .

إنَّ محمداً صورة للمثقف البائس ، فقد تفككت مبادئه ، وأنحلت قيمه ؛ نتيجة لما أصاب زوجته .

وفي رواية (الرجع البعيد) نلحظ الثورة على التقاليد ، والأعراف الاجتماعية، حينما لجأ حسين إلى شرب الخمر هرباً من واقعهِ المرير ، فيقول أبو شاكر عنه ((آني يا هو مالتي إذا الأخ حسين يشرب ليل نهار مستمراً وما يعرف دربه؟))[١] ، إنَّ لجوءهُ إلى الخمر وسيلة للتخلص من شعوره بالذنب لعدم قدرته على تحمل مسؤولية إبنتيه وزوجته ، فهو صورة للمثقف الثوري المتمرد الهارب من الواقع ، فحسين يمثل الطبقة المثقفة الهاربة من المجتمع ومسؤولياته ، وذلك إثر إحساسه بالفراغ والخواء ، وهروبه داخل الوطن وخارجه ، فهرب خارج بلده إلى الكويت وعاد منهاراً ليشرب الخمر[٢] ، إنَّ حسيناً جزء من الطبقة البرجوازية ، وغيرها والبرجوازية التي تعتمد على الواقعية ؛ لذا فإن لجوءه إلى الخمر هو جزء من الواقع السائد آنذاك ، وعلى أساس هذا فإن حسيناً مثقف ثوري ؛ لأنه ثار على التقاليد والأعراف ولجأ إلى شرب الخمر .

---

(١) الرجع البعيد : ١٢٤ .

(٢) ينظر : أبطال الرجع البعيد بين الإحباط والاغتراب ، صبري مسلم ، الأقلام ، ع١٣ ، ١٩٨٣م : ٤١ .

إنَّ الخمرة لها الأثر الكبير عند الواقعيين ، لاسيّما ما تحملهُ من دلالات اجتماعية ترتبط بمجالس الشراب وألوانه ، فالخمرة قوة محطمة تقضي على الأفراد وتؤدي إلى انهيار الأسرة وانحطاطها[١] .

وفي الرواية نفسها نجد مدحت يواجه الأعراف والتقاليد ويتزوج منيرة التي فقدت عذريتها حينما اغتصبها عدنان ، فمدحت يحاول الانتصار لأفكاره ، وعلى تقاليد مجتمعه ((لن يعتذر لها بالطبع ، لتلك العزيزة ، سيقول لها فقط أنه جاء إليها، من أجلها ، هي زوجته ؛ لأنه انتصر على كلِّ أفكار الفناء فيه)) [٢] ، فمدحت يثور على التقاليد والأعراف ، فيلوم نفسه ؛ لأنه ظلم منيرة إذ كان لابُدَّ أنّ يعود إليها ويقضي على كلّ ما يقف بوجه سعادته معها ، وأنّ لا يحطم حياته وسعادته من أجل ما توارثه الآباء والأجداد ، فمنيرة ليست الحبيبة والزوجة فقط ، وإنما هي الحياة كلها بالنسبة له ، كما أنها رمز الثقافة الجديدة ، الثقافة الرافضة للظلم ، والقسوة ، والتقاليد البالية ، وبهذا فإن مدحت يمثل المثقف الواقعي الثوري الذي ثار على تقاليد المجتمع ووقف ضدَّها .

أمّا رواية (خاتم الرمل) فنجد أنَّ هاشماً يتجاوز القيم والأعراف الاجتماعية ، حينما يهرب ليلة زفافه إلى مقبرة والدته ويترك زوجته آمال بمفردها ، ممّا يثير سخطها وحزنها ، تقول العمة قادرية لهاشم ((آمال يا ابني آمال، لا يمكن أنّ تبقى هكذا . تريد أنّ تتزوج ولعل عريساً ... أو لا أدري ... تقدم لخطبتها أو ... أو أي شيء آخر)) [٣] ، إنَّ آمال لا تمانع من الزواج بشخص آخر ، لاسيّما بعد أن تركها معلقة لمدّة سنة ونصف ؛ ولكنّ لأنَّ هاشم صورة للمثقف الرومانسي المتمرد فإنه رفض الانفصال

---

(١) ينظر : بناء الرواية : ١٤٦ .

(٢) الرجع البعيد : ٤٨٩ .

(٣) خاتم الرمل : ٣١ .

عنها ، والظروف هي التي أوصلت هاشم إلى قسوة القلب والأنانية، فوفاة والدته التي طالما عدّها ملكة الحياة والغطاء الدافئ له ، فهي التي حمتهُ من قسوة والدهِ ، فنجده يُحمل والده سبب وفاة والدته ((أو تظنينني محظوظاً ... أنا الذي فقد أمه ، وهو في التاسعة من عمره ؟ رأيتها ميتة أمامي ! بسببه هو)) [١] ، إنَّ الظروف التي عاشها هاشم جعلت منه صورة للمثقف الرومانسي الثوري ؛ وذلك إنّ الأُمور الواقعية التي حصلت له والمتمثلة بوفاة والدته وقسوة والده أثرت على نفسيته وجعلته إنساناً من الصعب أنّ يتكيف مع أبناء مجتمعه ؛ فلهذا وجدناه يهرب ليلة زفافه ثائراً على التقاليد والأعراف الاجتماعية ، وممّا يفسر عدم ارتباط هاشم بآمال هو رفضه لأي ارتباط بالآخرين ؛ وذلك لأنَّ هاشماً ((كما تفصح عن ذلك شخصيته وأفكاره ، وكلامه ممتلئ بإحساس الارتباط والانتماء المفروض عليه ، شأنه في ذلك بالطبع شأن كل إنسان ينتمي إلى مجتمع وأُناس ومكان لم يختره هو ، وهو ما قاد إلى الإحساس بعدم الارتباط بالآخرين وبزيفه ، أو على الأقلّ قاد إلى الإحساس إلى عدم الاقتناع به ، بفعل خللٍ منه أو من الآخرين ، الأمر الذي يحول هذه العلاقة افتراضاً الذي يربط البشر ببعضهم هو الزواج ، فعبرت عنه الرواية انطلاقاً من هذا بخاتم الرمل : "وبسبب هذه النظرة التي تفسر نظام الأشياء الطبيعية، من أجل أنّ تحشره في نظامها المصطنع ، يتحول الذهب الخالص إلى خاتم من الرمل وتفسد العلاقات")) [٢] ، وهذا يفسر وضع هاشم ورفضه للمجتمع وثورته على الأعراف والتقاليد .

ومن مظاهر الواقعية الأُخرى البطالة التي تظهر بصورة جلية في رواية (بصقة في وجه الحياة) فمحيّ موظف متقاعد يقضي كلّ وقته في التفكير بغرائزه الجنسية ،

---

(١) المصدر نفسه : ٣٠ .

(٢) أزمة الفرد ... أزمة الوجود ، رواية خاتم الرمل لفؤاد التكرلي ، د. نجم عبد الله كاظم ، مجلة المدى ، ع٤ (٣) ، ٢٠٠٣م : ٣٤ .

أو الجلوس في المنزل ، أو المقهى الذي يرمز هنا إلى البطالة كما في قوله : ((لبثتُ جالساً في مقهى فتاح ، وهو محليّ المُختار)) [١] ، فمحيّ لا يجد ما يشغله سوى الجلوس في المقهى أو المنزل، أو قراءة الكتب الجنسية ، فهو لا يحاول تحسين وضعه المادي ، ولسوء وضعه المادي نجد أنَّ بناته ينحرفن من أجل كسب المال ، وهو بهذا مثقف مهزوم ؛ لأنه لم يستطع تحسين وضعه المادي وبالتالي فإنَّه لم يستطع منع بناته من الانحراف ، وعلى أساس هذا تكون البطالة قد أسهمت في جعل محيّ مثقفاً مهزوماً .

ومن مظاهر الواقعية الأُخرى التشاؤم التي تظهر في رواية (الوجه الآخر) فنجد محمد جعفر متشائماً من المجتمع ، فهو ينظر إليه نظرة إنسان حاقد ؛ ولعلّ ذلك يعود لاعتقاده أنَّ المجتمع يسحق كلّ إنسان طيب ، وهو بهذا ناقم على مجتمعه وعلى ذاته ؛ لأنَّه يرى في ذاته صورة للإنسان الطيب .

إنَّ تشاؤم محمد من مجتمعه يعود للظروف السيئة التي أحاطت به ، فالحياة لم تنصفه ، ولكن مع ما عاناه بقي محبّاً للقراءة والكتابة ((لم يفتر حبه للقراءة مع هذه الظروف السيئة التي تحيطه)) [٢] ، إنَّ هذا النصّ يدلُّ على أنّه إنسان مثقف ، وثقافته تبعث في نفسه الشعور بالإنسانية التي أحسَّ في لحظات معينة أنَّه فقدها .

وفي خاتمة هذا الفصل يتبين أنَّ الواقعية قامت بتصوير المجتمع وما فيه من فقر ، ولاسيما المثقف وما أحاط به من ظروف واقعية أثّرت في سلوكه ؛ فأراد التكرلي أنْ يشير الانتباه لهذه الطبقة المعدومة ، ومعالجة حالة الفقر التي تعيشها طبقة واسعة في مجتمعاتنا .

---

(١) بصقة في وجه الحياة : ٣٠ .

(٢) الوجه الآخر : ٣٢ .

إنَّ التكرلي واسع الإطلاع وهذا جعله ذا ثقافة واسعة ، فإطلاعه على كتب الفلسفة والجوانب الفكرية فيها جعلها تؤثر على أفكارهِ فنظر إلى الحياة في بعض جوانبها نظرة يخرج بها عن الواقع ، وهذا ما لاحظناه في بعض شخصيات رواياته، ولكنه عندما خرج عن الواقع وعرض هذه الحالات لشخصياته لم يكن يقصد أن تكون نهاية الإنسان مهزومة ، بل على العكس من ذلك نجده يحذر من الوقوع في نفس الخطأ الذي وقعت فيه شخصياته الرئيسة في الرواية .

إنَّ التكرلي ألبسَ شخصياته حياة واقعية ومشكلات اجتماعية ، ممّا جعلها تؤثر في نفوس القرّاء وتتعاطف معها ، وهو بهذا يكون قد نجح في إيصال رسالته للقرّاء .

Abstract

Fu'ad Al Tkrli (1927 - 2008) is one of the prominent Iraqi novelists . His novels have been marked by their critical issues . They reveal the political , economical and social issues of Iraqi society .

Fu'ad al-Tkrli adapts the intellectual as a main character through which he exposes his ideas and views . Two parts and a conclusion .

The preface is divided into two sections . They study the concept of culture and the definitions of the intellectual from a critical point of view .

First part is divided into three chapters . chapter one studies realism and its impact on the intellectual . Chapter two deals with existentialism and its impact on the intellectual . Whereas Chapter three concerns with Freudian theory and its impact on the intellectual .

Part Tow falls into three chapters . Chapter one studies the intellectual and his attitude towards the heritage . Chapter two deals with the intellectual and his attitude towards the authority . Chapter three studies the intellectual and his attitude towards woman .

Finally the conclusion sums up the findings of the study .

Researcher

Alaa Qahtan Abdel-Rahman AL-Anbaky